

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد وبيوع

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد من:

رسالة القواعد الأربع

لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

بشرح فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله

أهمية الرسالة: تأتي بمعرفة مضادات تلك القواعد

الأربعة، وأن الإخلال بهذه القواعد الأربع، أو عدم

ضبطها يقع معه لبس عظيم في معرفة حال المشركين

وحال الموحدين.

مصدرها: هذه القواعد الأربع مأخوذة من

نصوص الكتاب والسنة، فهي قواعد عظيمة تعصم

من حفظها، وعلم معناها من أن يكون عنده تردد في

مسألة الحكم على أهل الإشراك، وعلى وجوب

إخلاص الدين لله عزّ وجل وكيف يكون ذلك.

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

إمام الدعوة رحمه الله كعادته في كثير من رسائله،
يبدؤها بالدعاء لمن يقرأ هذه الرسالة، أو لمن وجهها
إليه، وهذا فيه التنبيه على أن مبنى العلم ومبنى الدعوة:
الرحمة والتراحم بين المعلم والمتعلم؛ لأن الرحمة في ذلك
هي سبب التواصل.

وكان مما دعا به: أنه سأل الله جل وعلا أن يجعلنا
ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب
استغفر، وهؤلاء الثلاثة عنوان السعادة:
أولاً: إذا أعطي شكر؛ لأن العطاء من الله جل
وعلا نعمة.

الفرق بين الشكر والحمد:

الشكر: يكون عن نعمة، وأما **الحمد:** فيكون لنعمة
أو في مقابل نعمة، وقد لا يكون، بأن يكون ثناءً
مبتدئاً.

والشكر: يكون باللسان والعمل، **والحمد:** باللسان
فقط.

فوائد من شرح القواعد الأربع

جمع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

الشكر يكون بالقول والعمل:

بالقول: فبأن ينسب العطاء إلى من أعطاه، وأن
يثنى عليه به، وألا يلتفت فيه إلى غيره.

وأما كونه بالعمل: فبأن يستعمل النعم فيما يجب
من أنعم بها وأسداها.

ثانياً: إذا ابتلي صبر، ولا بد للموحد من ابتلاء،
فسأل الله له أن يجعله ممن إذا ابتلي صبر.

والابتلاء قد يكون من جهة:

الأقوال التي قد توجه إليه.

وقد يكون من جهة البدن.

وقد يكون من جهة المال، أو غير ذلك.

ثالثاً: إذا أذنب استغفر؛ لأن الموحد لا بد أن يقع في
الذنب إما من الصغائر، وإما من الكبائر.

والحنيفية هي: الملة التي مالت عن كل باطل إلى الحق،
وابتعدت عن كل باطل إلى الحق.

فوائد من شرح القواعد الأربع

مجمع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

وحقيقة ملة إبراهيم: هي تحقيق معنى: لا إله إلا

الله.

وإذا عرفت هذا، فإن العبادة لا تقبل إلا

بالتوحيد، وذلك مثل الطهارة للصلاة، فإن التوحيد
أي: الإخلاص، شرط قبول العبادة، كما أن الطهارة
شرط صحة الصلاة.

فالعبادة: وإن كانت عظيمة كثيرة، إذا لم تكن مع

الإخلاص لا تكون مقبولة، كما أن الرجل يصلي
صلاة عظيمة يطيل فيها القيام والركوع والسجود،
ويحسبها جدًّا، وقد دخل فيها على غير طهارة، فلا
تكون صلاته مقبولة بالإجماع؛ لأن الطهارة شرط
صحة الصلاة. وهذا تقريب لهذه المسألة العظيمة،
وإلا فإن شرط الإخلاص والتوحيد لقبول العبادة
أعظم من شرط الطهارة لقبول الصلاة؛ لأنه إذا صلى
محدثًا متعمدًا فإن في تكفيره خلافًا بين أهل العلم.
وأما إذا عبد الله مشرکًا فإنه بالإجماع ليس مقبول

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

العبادة، وبالإجماع هو كافر؛ لأنه أشرك بالله جل
وعلا الشرك الأكبر الذي لا يقبل معه عمل.

إذا تقرّر ذلك، فإن هذا الأصل يجعل المرء يخاف

ويفرح، يخاف من الشرك وأن يكون من أهله، ويفرح
أن جعله الله جل وعلا من أهل التوحيد.

الشركيات: إذا كانت:

– من الشرك الأكبر، فإنها محببة للعمل.

– وإذا كانت من الشرك الأصغر، فإنها أعظم

من البدع والمعاصي المختلفة يعني: من حيث الجنس.

القاعدة الأولى

إن توحيد الربوبية لا يدخل أحدًا في الإسلام؛ لأن توحيد الربوبية ليس هو المطلوب؛ فإن العرب كانوا مقرين به ومع ذلك ما نفعهم إقرارهم، ولم يجعلهم الله جل وعلا بذلك من أهل الإسلام فأقام عليهم الحجة بما أقروا به على ما أنكروه، وهذه هي طريقة القرآن في إقامة الحجة على المشركين، فإن من براهين توحيد العبادة أن تقام الحجة بتوحيد الربوبية؛ لأن من كان هو الفاعل وحده، يعني: هو الخالق وحده، والرازق وحده إلى آخر أفراد الربوبية، فإنه هو الذي يستحق العبادة دون ما سواه، ولهذا قال سبحانه منكرًا على المشركين: [**أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْفَوْنَ**].

وغلط المتكلمون حين عرّفوا (الإله) بأنه القادر على الاختراع، وجعلوا معنى (لا إله إلا الله) راجعًا إلى الربوبية، وهذا أعظم غلط، وقع فيه المتكلمون على

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

الدين، وعلى الملة؛ إذ جعلوا الابتلاء واقعا في الربوبية، فإذا أيقن المرء بأن الموجد للأشياء والمخالق لها هو الله، فإنه يكون عندهم مؤمنا مسلما، وهذا غير معنى الألوهية؛ لأن معنى (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله جل وعلا فمعناها راجع إلى العبودية لا إلى الربوبية.

فهذا مراد الشيخ من هذه القاعدة المهمة

اليقينية؛ لأن هذه القاعدة يقينية، تبين بيقين حال الكفار وحال المشركين، وأنهم مقرّون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم ينفعهم إقرارهم، فإذا نظرنا في هذا الزمن، وفي زمن الشيخ، وما قبله، وما بعده وجدنا أن هناك من يوقن بالربوبية، ولكنه يشرك في العبادة، فلا ينفعه إقراره كحال الأولين؛ لأن القاعدة: أن مشركي العرب كانوا يوقنون بالربوبية.

فوائد من شرح القواعد الأربع

مجمع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

القاعدة الثانية

هذه القاعدة: في بيان حال الذين أشركوا في

عبادتهم، وعبدوا آلهة مع الله ومن دونه.

فماذا يقصدون بهذه العبادة؟ وهل يقولون: إنها

آلهة استقلالية، أم إنها وسائط؟.

فأفادت: بأن المشركين إنما كانوا يعبدون غير الله

جل وعلا:

على جهة القرية.

وعلى جهة الشفاعة.

يعني: أنهم يقولون:

إن آلهتهم الباطلة تقرّبهم إلى الله، أو ترفع

حوادثهم إلى الله.

أو يقولون: إنها تشفع لهم عند الله جل وعلا،

فلم يكونوا يطلبون من الآلهة إلا على وجه الوساطة.

فوائد من شرح القواعد الأربع

مجمع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

وهذه الوساطة من جهتين: جهة القربى والزلفى،
والجهة الثانية: جهة الشفاعة.

دليل القربة: قوله تعالى: [**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ**
أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ] .

يعني: ما نعبدهم لعله من العلل إلا لأجل التقريب،
فهم حصروا ما أرادوا في القربى من الله جل وعلا، فهم
أرادوا ما عند الله جل وعلا.

فتبين أنهم حين توجهوا لهذه الآلهة الباطلة أرادوا
ما عند الله، ولم يطلبوا منها استقلالاً، إنما أرادوها
زلفى وقربى إلى الله جل وعلا.

والشفاعة في الكتاب والسنة نوعان: شفاعة
منفية، وشفاعة مثبتة.

الشفاعة المنفية: كما ذكر الإمام رحمه الله: هي
الشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا،
كالشفاعة في مغفرة الذنب ممن لا يملك تلك
الشفاعة.

الشفاعة^١ هي: بمعنى: طلب الدعاء.

والمطلوب منه: إما أن يكون حيًا حاضرًا، وإما أن يكون ميتًا.

فإن كان حيًا حاضرًا في الدنيا أو في عَرَصات القيامة، فقد جاءت الأدلة بجواز طلب الشفاعة منه. أما الميت فإنه ليس في دار عمل، وليس في دار طلب، وليس عند الله جل وعلا بالمكان الذي يطلب

١ قال الشيخ الإمام رحمه الله: "باب الشفاعة" الشفاعة معناها: التوسط في قضاء حاجة المحتاج لدى من هي عنده. سميت بذلك لأن طالب الحاجة كان منفرداً في الأول، ثم لما انضم إليه الشافع صار شفعاً، لأن الشفع ضد الوتر. فلما كان طالب الحاجة منفرداً، ثم انضم إليه الوساطة شفعه في الطلب، ولذلك سمي شافعاً، وسمي هذا العمل شفاعة، قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا}، فالذي يشفع عند السلاطين، أو عند الأغنياء، أو عند غيرهم لقضاء حاجة المحتاجين يعتبر عمله شفاعة طيبة يؤجر عليها، قال صلى الله عليه وسلم: "اشفَعوا تَوْجَرُوا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء". إغاثة المستفيد: ص - ٢٣٦ - [الباب السابع عشر:]* باب الشفاعة.

فوائد من شرح القواعد الأربع

مجمع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

فيعطى ما طلبه، ولكن تطلب الشفاعة من الله جل
وعلا.

وبهذا يجب أن يكون طلب الشفاعة من الله جل
وعلا، وهذه هي: **الشفاعة النافعة المثبتة**.
والشفاعة المثبتة: هي التي توفرت فيها الشروط
الشرعية.

وهما شرطان: الإذن والرضا.

الإذن للشافع أن يشفع.

والرضا عن الشافع والمشفوع له.

**وأصل شرك جميع الفئات والطوائف في العالم كان
على أحد جهتين:**

أما الجهة الأولى: فهو الشرك بالاعتقاد في

رُوحانيات الكواكب، كما كان شرك قوم إبراهيم
عليه السلام، فإن إبراهيم أتى إلى قوم يعبدون الأصنام
التي هي مصورة على صور روحانية الكواكب الخاصة
التي يعتقدون أن لها تأثيراً في الملكوت. فعبدوا الأصنام

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

أو الأوثان؛ لأن أرواح تلك الكواكب والشياطين تحل فيها، وجعلوا الصالحين، وأرواح الصالحين، والاعتقاد فيهم: سبباً؛ لكي يرفع أولئك الحوائج لهم إلى الله جل وعلا.

الجهة الثانية: ما حصل من العرب؛ فإنك إذا

تأملت حال العرب وجدت أن الشرك حصل منهم بأناس صالحين، أو أن الشرك وقع بالآلهة لأجل طلب القرى والشفاعة. لا لأجل أن هذه مستقلة لها نصيب من الربوبية، أو لها شيء من الألوهية الاستقلالية، ولكن جعلوا لها ألوهية من جهة اتخاذها واسطة، وليست آلهة مستقلة.

فوائد من شرح القواعد الأربع

مجمع وتلخيص محمد بن سعد بن يبرح

القاعدة الثالثة

هذه القاعدة فيها مقدمة ونتيجة:

أما المقدمة: فهي راجعة إلى معرفة حال العرب بما أخبر الله جل وعلا عنهم في عباداتهم، وآلهة العرب الباطلة التي كانوا يعبدون كانت **متنوعة**.

فهل فرق الله جل وعلا في أمره لنبيه والمؤمنين بين فئة وأخرى، فقال لهم: من عبد الأشجار والأحجار والأصنام والشمس والقمر فقاتلوهم، وأما من جعل الصالحين والأنبياء شفعاء، وجعل الصالحين والأنبياء قربي وزلفى إلى الله جل وعلا فهؤلاء لا تقاتلوهم؟.

وأما النتيجة: أنه لم يأت هذا التفريق، بل جاء الأمر واحداً، وحكم على الجميع بأنهم كفار مشركون، وأمر الله جل وعلا بقتال جميع تلك الفئات وجميع

فوائد من شرح القواعد الأربع

مجمع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

أولئك المشركين بدون تفریق: [وَقَسَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
كَمَا يَقَاتِلُوكُم كَافَّةً] (٢)، وهذا عام في الجميع.

وإذا كان كذلك ثبت: أنه لا فرق بين أن يعبد
الإنسان نبياً، أو أن يعبد حجراً وشجراً، أو أن يعبد
جنياً، أو أن يعبد ملكاً.

فمن أتى في هذا الزمان وفرّق، وقال: إن
للأنبياء والصالحين مقاماً عند الله وجاهاً، فمن أجل
ذلك نستشفع بهم.

فيقال: وأي فرق بين عبادة هؤلاء الصالحين
والتوجه إليهم وبين عبادة من عبد عيسى، أو عبد
عزيراً، أو عبد الصالحين الذين كانوا يُعبدون؟ لاشك
أن الحكم على الجميع واحد.

وهذه قاعدة يقينية: في أنه لا فرق بين هذا
وهذا؛ لأن المدار على عبودية القلب، فإذا قام في

٢ - سورة التوبة بعض الآية ٣٦ .

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد وبيروني

القلب التنديد والإشراك بالله جل وعلا فسواء أكان
المشرك به صالحًا أم شجرًا، فإن الأمر واحد.

لأن القلب يجب أن تكون عبوديته لله وحده،
وهذه العبودية: من جهة العابد، لا يُنظر فيها إلى
من تُوجه إليه من المعبودات:

فإن توجه لله الواحد الأحد: فهو موحد مخلص.
وإن توجه إلى غيره: فهو مشرك، مهما كان ذلك
الغير؛ ولهذا قال الله جل وعلا: [**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا
تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**] (٣).

فوائد من شرح القواعد الأربع

تجميع وتلخيص محمد بن سعد ريبوح

القاعدة الرابعة

هذه القاعدة نتيجة لما سبق، ومرتبة عليه.

مقصود هذه القاعدة: أن المشركين في هذا

الزمان: هم من جنس المشركين في كل زمان ومن جنس مشركي الجاهلية، وإن كانوا ينتسبون إلى الملة والإسلام، ولهم صلوات وتعبادات، فإن شركهم قد يكون أشد وأعظم من شرك الأولين. وهو الذي بيّنه الشيخ في هذه القاعدة.

إذ بين: أن مشركي هذا الزمان أغلظ شركًا

من مشركي أهل الجاهلية.

لأن الله جل وعلا وصف أهل الجاهلية بأنهم:

يشركون في الرخاء.

ويوحدون في الشدة.

تمت بحمد الله تعالى

كتبه: محمد ابن عبدالقادر - سعد - ريبوح

ليلة الخميس ١٥ شعبان ١٤٤١ هـ